أسلحة المؤمن في حربه مع الشيطان

أولاً: الحذر والحيطة:

صور ابن الجوزي هذا الصراع بين الإنسان والشيطان تصويراً بديعاً حيث يقول: «واعلم أن القلب الحصن، وعلى ذلك الحصن سور، وللسور أبواب وفيه ثلم (الثلمة في السور الموضوع المتهدم منه) وساكنه العقل، والملائكة تتردد على ذلك الحصن، وإلى جانبه ربض «الربض المكان الذي يؤوي إليه» فيه الهوى والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع، والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربط، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارث والعبور من بعض الثلم، فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وكل بحفظه وجميع الثلم، ألا يفتر عن الحراسة لحظة فإن العدو لا يفتر. قال رجل للحسن البصري: أينام إبليس؟ قال: لو نام لوجدنا راحة.

وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالإيمان وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل ما يمر به، فأول ما يفعل الشيطان في الربضين إكثار الدخان فتسود حيطان الحصن، وتصدأ المرآة، وكمال الفكر يرد الدخان، وصقل الذكر يجلو المرآة، وللعدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن، فيكر عليه الحارس فيخرج، وربما دخل فعاث وربما أقام لغفلة الحراس، وربما ركدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة يمر الشيطان ولا يدري به، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم يستنبط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته، وربما صار كالفقيه في الشر، (تلبيس إبليس ٤٩).

ثانياً: الالتزام بالكتاب والسنة:

أعظم سبيل للحماية من الشيطان هو الالتزام بالكتاب والسنة علماً وعملاً: قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقد شرح الرسول ﷺ هذه الآية وبينها فقد «خط ﷺ خطاً بيده، ثم قال: **«هذا سبيل الله مستقيماً»** وخط عن يمينه وشماله ثم قال: **«هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه»** ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾» (رواه الإمام أحمد والحاكم وصححه والنسائي).

إن الالتزام بالكتاب والسنة قولاً وعملاً يطرد الشيطان ويغيظه أعظم إغاظة، روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وابن ماجه في سننه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا قرأ ابنُ آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنَّة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار»**.

ثالثاً: الالتجاء إلى الله والاحتماء به:

خير سبيل للاحتماء من الشيطان وجنده هو الالتجاء إلى الله والاحتماء بجنابه والاستعاذة به من الشيطان، فإنه عليه قادر، فإذا أجار عبده فأنى يخلص الشيطان إليه، قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩، ٢٠٠].

وقد أمر الله رسوله ﷺ بالاستعاذة بالله من همزات الشياطين وحضورهم ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨]. وهمزات الشياطين: نزغاتهم ووساوسهم فالله يأمرنا بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة إذ لا يقبل مصانعة ولا إحساناً ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم.

يقول ابن كثير في تفسيره (٢٨/١) «والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله

تعالى والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر...، ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم، لا يضرني في ديني ودنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله، ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل لأنه شرير بالطبع ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه».

وقد كان ﷺ يكثر من الاستعاذة بربه من الشيطان بصيغ مختلفة فكان يقول بعد دعاء الاستفتاح في الصلاة: «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه**» روى ذلك أصحاب السنن الأربعة، وقد فسر همز الشيطان الموتة وهي الخنق، والنفخ بالكبر، والنفث بالشعر.

الاستعاذة عند دخول الخلاء:

وكان إذا دخل الخلاء يستعيذ من الشيطان ذكورهم وإناثهم كما في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**».

وفي مسند أحمد وسنن أبي داود بإسناد صحيح عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن هذه الحشوش محتضرة، فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث**».

الاستعاذة عند الغضب:

واستب رجلان عند النبي ﷺ فغضب أحدهما غضباً شديداً حتى يخيل إلي (إلى راوي الحديث) أن أحدهما يتمزع أنفه من شدة غضبه، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب**» فقالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم**» رواه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد وهذا لفظ أحمد.

وقد علم الرسول ﷺ أحد أصحابه أن يقول: «**اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، لا إله إلا أنت، رب كل شيء ومليكه، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءاً، أو أجره إلى مسلم**» رواه الترمذي بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٥٦/٦).

الاستعاذة عند الجماع:

وحثنا على الاستعاذة حين يأتي الرجل أهله بأن يقول: «**بسم الله اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه لو قضى بينهما ولد من ذلك لم يضره الشيطان أبداً**» متفق عليه. وإذا نزل المرء وادياً أو منزلاً فعليه أن يستعيذ بالله لا كما كان يفعل أهل الجاهلية يستعيذون بالجن والشيطان، فيقول قائلهم: أعوذ بزعيم هذا الوادي من سفهاء قومه، فكانت العاقبة أن استكبرت الجن وآذتهم كما حكى الله عنهم ذلك في سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ٦] أي: الجن زادت الإنس رهقاً، أما المسلم فانظر إلام أرشده الرسول ﷺ حيث يقول: «**لو أن أحدكم إذا نزل منزلاً قال: أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق، لم يضره في ذلك المنزل شيء، حتى يرتحل منه**» رواه ابن ماجه بإسناد صحيح.

التعوذ بالله من الشيطان عند سماع نهيق الحمار:

يقول الرسول ﷺ: «**إذا نهق الحمار فتعوذا بالله من الشيطان الرجيم**» رواه الطبراني في معجمه الكبير بإسناد صحيح (راجع صحيح الجامع ٢٨٦/١) وقد سبق أن الحمار إذا نهق بالليل فيكون قد رأى شيطاناً.

التعوذ حين قراءة القرآن:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل: ٩٨، ٩٩].

وقد بين ابن القيم الحكمة في الاستعاذة بالله من الشيطان حين قراءة القرآن، (إغاثة اللهفان ١/١٠٩) فقال:

١ ـ إن القرآن شفاء لما في الصدور يذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس والشهوات والإرادات الفاسدة، فهو دواء لما أمره الشيطان فيها، فأمر أن يطرد مادة الداء ويخلي منه القلب ليصادف الداء محلاً خالياً، فيتمكن منه، ويؤثر فيه، كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خلياً فتمكنا

فيجيء هذا الدواء الشافي إلى القلب قد خلا من مزاحم ومضاد له فينجح فيه.

٢ ـ ومنها أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب، كما أن الماء مادة النبات، والشيطان نار يحرق النبات أولاً فأولاً، فكلما أحس بنبات الخير من القلب سعى في إفساده وإحراقه، فأمر أن يستعيذ بالله عز وجل منه لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن. والفرق بين هذا الوجه والوجه الذب قبله أن الاستعاذة في الوجه الأول لأجل حصول فائدة القرآن، وفي الوجه الثاني لأجل بقائها وحفظها.

٣ ـ ومنها أن الملائكة تدنو من قارىء القرآن وتستمع لقراءته، كما في حديث أسيد بن حضير لما كان يقرأ ورأى مثل الظلة فيها المصابيح، فقال عليه الصلاة والسلام: تلك الملائكة والشيطان ضد الملك وعدوه. فأمر القارىء أن يطلب من الله تعالى مباعدة عدوه عنه حتى يحضره خاص ملائكته، فهذه منزلة لا يجتمع فيها الملائكة والشياطين.

٤ ـ ومنها أن الشيطان يجلب على القارىء بخيله ورجله، حتى يشغله عن المقصود بالقرآن، وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلم به سبحانه، فيحصر بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن، فلا يكمل انتفاع القارىء به، فأمر عند الشروع أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

٥ ـ ومنها أن القارىء يناجي الله تعالى بكلامه، والله أشد أذناً للقارىء الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قيننته، والشيطان إنما قراءته الشعر والغناء، فأمر القارىء أن يطرده بالاستعاذة عند مناجاة الله تعالى واستماع الرب قراءته.

٦ ـ ومنها: أن الله سبحانه أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، والسلف كلهم على أن المعنى: إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته... فإذا كان هذا فعله مع الرسل عليهم الصلاة والسلام فكيف بغيرهم. ولهذا يغلظ القارىء تارة، ويخلط عليه القراءة، ويشوشها عليه، فيخبط عليه لسانه، أو يشوش عليه ذهنه وقلبه، فإذا حضر عند القراءة لم يعدم منه القارىء هذا أو هذا، وربما جمعها له.

٧ ـ ومنها أن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهم بالخير أو يدخل فيه، فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه.

تعويذ الأبناء والأهل:

وقد كان الرسول ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول: «**أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة**، ثم يقول: **هكذا كان أبي إبراهيم ﷺ يعوذ إسماعيل وإسحاق**» (أخرجاه في الصحيحين) قال أبو بكر بن الأنباري: «الهامة واحد الهوام، ويقال: هي كل نسمة تهم بسوء، واللامة الملمة وإنما قال لامة ليوافق لفظ هامة فيكون أخف على اللسان» (تلبيس إبليس ٤٧).

فقه عظيم:

حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: «ما تصنع بالشيطان إذا سوّل لك الخطايا؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال هذا يطول. أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده جهدي وأراده. هذا أمر يطول ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك» (تلبيس إبليس ٤٨) وهذا فقه عظيم من

هذا العالم الجليل فإن الاحتماء بالله والالتجاء إليه هو السبيل القوي الذي يطرد الشيطان ويبعده، وهذا ما فعلت أم مريم إذا قالت: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

يقول بعض الناس: إننا نستعيذ بالله ومع ذلك فإننا نحس بالشيطان يوسوس لنا ويحرضنا على الشر ويشغلنا في صلاتنا.

والجواب: أن الاستعاذة كالسيف في يدي المقاتل، فإن كانت يده قوية أصاب من عدوه مقتلاً، وإلا فإنه قد لا يؤثر فيه، ولو كان السيف صقيلاً حديداً.

وكذلك الاستعاذة إذا كانت من تقي ورفع كانت ناراً تحرق الشيطان وإذا كانت من مخلط ضعيف الإيمان فلا تؤثر في العدو تأثيراً قوياً. قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله: (واعلم أن مثل إبليس مع المتقي والمخلط كرجل جالس بين يديه طعام ولحم فمر به كلب، فقال له: اخسأ، فذهب فمر بآخر بين يديه طعام ولحم فكلما أخسأه (طرده) لم يبرح. فالأول مثل المتقي يمر به الشيطان فيكفيه في طرده الذكر. والثاني مثل المخلط لا يفارقه الشيطان لمكان تخليطه نعوذ بالله من الشيطان) (تلبيس إبليس ٤٨).

فعلى المسلم الذي يريد النجاة من الشيطان وأحاييله أن يشتغل بتقوية إيمانه والاحتماء بالله ربه والالتجاء إليه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رابعاً: الاشتغال بذكر الله:

يقول ابن القيم في (الوابل الصيب ص٦٠): فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى، وأن لا يزال لهجاً بذكره، فأنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده، فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالى أُنخس عدو الله وتصاغر، وانقمع، حتى يكون كالوصع (طائر أصغر من العصفور) وكالذباب، ولها ذمي ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾، أي: يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله خنس، أي كف

وانقبض. وقال ابن عباس: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس فإذا ذكر الله تعالى خنس.

ويقول ابن القيم (ص١٤٤): «الشيطان قد احتوشت العبد وهم أعداؤه، فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المخنقون عليه غيظاً، وأحاطوا به، وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى، ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل».

فكذلك الشيطان لا يحرز العباد أنفسهم منه إلا بذكر الله عز وجل، وفي الترمذي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال** ـ يعني إذا خرج من بيته ـ **بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت وهديت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان، فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي**»؟ رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن.

وصح عنه ﷺ أنه قال: «**من قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كانت له حرزاً من الشيطان حتى يمس**».

وفي «الصحيحين»: من حديث سالم بن أبي الجعد، عن كريب عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما إن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا فيولد بينهما ولد لا يضره شيطان أبداً**».

روى الإمام أحمد أن تيمية سمع أحد الصحابة يحدث أنه كان رديف رسول الله ﷺ قال: عثر بالنبي ﷺ حماره، فقلت تعس الشيطان، فقال النبي ﷺ: «**لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم، وقال: بقوتي صرعته، وإذا قلت باسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب**» قال ابن كثير في (البداية ٦٥/١) تفرد به أحمد وإسناده جيد.

خامساً: لزوم جماعة المسلمين:

ومما يبعد المسلم عن الوقوع في أحابيل الشيطان أن يعيش في ديار الإسلام ويختار لنفسه الفئة الصالحة التي تعينه على الحق وتحضه عليه، وتنهاه عن السيئات، وتذكره بالخيرات، فإن في الاتحاد والتجمع قوة وأي قوة، يقول الرسول ﷺ: «**من أراد منكم بحبوحة الجنَّة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد**» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. ورجاله ثقات والحديث صحيح وله طرق، والجماعة جماعة المسلمين، وإمام المسلمين ولا قيمة للجماعة في الإسلام ما لم تلتزم بالحق. الكتاب والسنة، ففي الحديث: «**ما من ثلاثة في قرية ولا بدو، لا تقام فيهم الصلاة، إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**» إسناده حسن. رواه أبو داود والنسائي وغيرهما.

سادساً: مخالفة الشيطان:

يقول الرسول ﷺ: «**ليأكل أحدكم بيمينه، وليشرب بيمينه، وليأخذ بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله، ويعطي بشماله، ويأخذ بشماله**» رواه ابن ماجه بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٨١/٥).

والشيطان يشاركنا في الشرب إذا شربنا ونحن وقوف ولذا أرشدنا الرسول ﷺ إلى الشرب ونحن جلوس.

ورغبنا الرسول ﷺ في القيلولة معللاً ذلك بأن الشيطان لا تقيل (قيلوا فإن الشيطان لا تقيل) رواه أبو نعيم في الطب بإسناد حسن (صحيح الجامع ١٤٧/٤).

وحذرنا القرآن من الإسراف وقد عد المبذرين إخوان الشياطين، وما ذلك إلا لأن الشياطين تحب إضاعة المال وإنفاقه في غير وجهه.

ومن الإسراف الإكثار من الأثاث والفراش الذي لا يلزم له. يقول ﷺ: «**فراش للرجل، وفراش لامرأته، وفراش للضيف، والرابع للشيطان**» رواه أبو داود والنسائي وأحمد بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٨/٤).

ومن هذا المنطلق أمرنا الرسول ﷺ بأن نميط الأذى عن اللقمة التي تسقط من أحدنا، ولا نتركها للشيطان، يقول ﷺ: «**إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت اللقمة فليمط ما كان بها من أذى، ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ فليلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أي طعامه البركة**» رواه مسلم في صحيحه (صحيح الجامع ٢/٧٥).

مراكب الشياطين وبيوت الشياطين:

ففي الحديث: «**تكون إبل للشياطين. وبيوت للشياطين، فأما إبل الشياطين، فقد رأيتها، يخرج أحدكم بجنيبات معه قد أسمنها فلا يعلو بعيراً منها، ويمر بأخيه قد انقطع به فلا يحمله، وأما بيوت الشياطين فلم أرها**» رواه أبو داود بإسناد صحيح (راجع الأحاديث الصحيحة ١/١٤٨).

وهذه الخيول والدواب التي يقامر عليها ويراهن عليها تعد من مراكب الشياطين يقول الرسول ﷺ: «**الخيل ثلاثة: ففرس للرحمن، وفرس للشيطان، وفرس للإنسان، فأما فرس الرحمٰن؛ فالذي يربط في سبيل الله، فعلفه وروثه وبوله في ميزانه، وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليه، وأما فرس الإنسان فالفرس يرتبطها الإنسان يلتمس بطنها، فهي ستر من الفقر**» رواه أحمد بإسناد صحيح. (صحيح الجامع ٣/١٣٧).

العجلة من الشيطان:

يقول الرسول ﷺ: «**التأني من الرحمٰن والعجلة من الشيطان**» رواه البيهقي في شعب الإيمان بإسناد حسن (صحيح الجامع ٣/٥٧) فعلينا أن نخالف الشيطان في ذلك ونتبع ما يرضي الرحمٰن، ولذلك قال الرسول ﷺ لأحد أصحابه «**إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة**».

التثاؤب: ومما يحبه الشيطان من الإنسان التثاؤب ولذا أمرنا الرسول ﷺ بكظمه ما استطعنا، يقول ﷺ: «**التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال: ها، ضحك منه**

الشيطان» متفق عليه. وذلك لأن التثاؤب علامة الكسل، والشيطان يعجبه ويفرحه من الإنسان كسله وفتوره؛ إذ بذلك يقل عمله وبذله الذي يرفعه عند ربه.

علاج الصرع:

تحدثنا في ما مضى أن الشيطان قد يصيب الإنسان وهو ما نسميه الصرع أو مس الجن، وهنا سنحاول أن نبين أسباب الصرع وعلاجه:

أسباب الصرع:

بين ابن تيمية (المجموع **٣٩/١٩**) «أن صرع الجن للإنس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق للإنس مع الإنس...، وقد يكون ـ وهو الأكثر ـ عن بغض ومجازاة، مثل أن يؤذيهم بعض الإنس، أو يظنوا أنهم يعتمدوا أذاهم إما ببول على بعضهم، وإما بصب ماء حار، وإما بقتل بعضهم، وإن كان الإنس لا يعرف ذلك، وفي الجن جهل وظلم فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه، وقد يكون عن عبث منهم وشر بمثل سفهاء الإنس».

واجبنا تجاه هؤلاء:

ذكرنا أن الجن عباد مأمورون متعبدون بالشريعة، فإذا استطاع المسلم أن يصل إلى مخاطبتهم، كما يحدث مع الجني الذي يصرع الإنسان وجب القيام بذلك.

فإذا كان صرع الجني للإنس من الباب الأول (عن شهوة وهوى) فهو من الفواحش التي حرمها الله تعالى على الإنس والجن، ولو كانت برضا الطرف الآخر، فكيف مع كراهته، فإنه فاحشة وظلم. فيخاطب الجن بذلك ويعرفون أن هذا فاحشة محرمة، أو فاحشة وعدوان لتقوم الحجة عليهم بذلك، ويعلموا أنه يحكم فيهم بحكم الله ورسوله الذي أرسله إلى جميع الثقلين: الإنس والجن.

وما كان من الثاني (إيذاء بعض الإنس لهم)، فإن كان الإنس لم يعلم فيخاطبون بأن هذا لم يعلم، ومن لم يتعمد الأذى لا يستحق العقوبة، وإن كان قد فعل ذلك في داره وملكه عرفوا بأن الدار ملكه فله أن يتصرف فيها بما يجوز، وأنتم ليس لكم أن تمكثوا في ملك الإنس بغير إذنهم، بل لكم ما ليس من مساكن الإنس كالخراب والفلوات.

يقول ابن تيمية: «ولهذا نهى النبي ﷺ عن قتل حيات البيوت حتى تؤذن ثلاثاً وقد سبق ذكر النصوص المبينة لذلك، وقد ساق ابن تيمية تلك النصوص، ثم بين السبب الذي من أجله نهى عن قتل جنان البيوت فقال: (وذلك أن قتل الجن بغير حق لا يجوز، كما لا يجوز قتل الإنس بلا حق، والظلم محرم في كل حال، فلا يحل لأحد أن يظلم أحداً ولو كان كافراً، بل قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] فإذا كانت حيات البيوت قد تكون جناً فتؤذن ثلاثاً، فإن ذهبت وإلا قتلت، فإنها إن كانت حية قتلت، وإن كانت جنية فقد أصرت على العدوان بظهورها للإنس في صورة حية تفزعهم بذلك، والعادي هو الصائل الذي يجوز دفعه بما يدفع ضرره ولو كان قتلاً، وأما قتلهم بدون سبب يبيح ذلك فلا يجوز».

سب الجان وضربهم:

وذكر ابن تيمية أن واجب المؤمن نصرة أخيه المظلوم وهذا المصروع مظلوم، ولكن النصرة تكون بالعدل كما أمر الله، فإذا لم يرتدع الجني بالأمر والنهي والبيان، فإنه يجوز نهره وسبه وتهديده ولعنه، كما فعل الرسول ﷺ مع الشيطان عندما جاء بشهاب ليرميه في وجه الرسول ﷺ، فقال عليه السلام: «**أعوذ بالله منك، ألعنك بلعنة الله** ـ ثلاثاً».

الاستعانة على الجان بالذكر وقراءة القرآن:

وخير ما يستعان به على الجني الذي يصرع الإنسان ذكر الله وقراءة القرآن، ومع أعظم ذلك قراءة آية الكرسي، «**فإن من قرأها لن يزال عليه**

من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح». كما صح الحديث بذلك وهو في صحيح البخاري.

يقول ابن تيمية (مجموعة الفتاوى ٥٥/١٩): «ومع هذا فقد جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته، فإن لها تأثيراً عظيماً في دفع الشياطين عن نفس الإنسان وعن المصروع وعمن تعينه الشياطين، مثل أهل الظلم والغضب وأهل الشهوة والطرب، وأرباب سماع المكاء والتصدية، إذا قرئت عليهم بصدق دفعت الشياطين، وبطلت الأمور التي يخيلها الشيطان، ويبطل ما عند إخوان الشياطين من مكاشفة شيطانية وتصرف شيطاني، إذ كانت الشياطين يوحون إلى أوليائهم بأمور يظنها الجهال من كرامات أولياء الله المتقين، وإنما هي من تلبيسات الشياطين على أوليائهم المغضوب عليهم والضالين».

طرد الرسول ﷺ للجن من بدن المصروع:

فعل ذلك الرسول ﷺ أكثر من مرة. ففي سنن أبي داود ومسند الإمام أحمد عن أم أبان بنت الوازع بن زارع بن عامر العبدي، عن أبيها، أن جدها الزارع انطلق إلى رسول الله ﷺ فانطلق معه بابن له مجنون، أو ابن أخت له ـ قال جدي: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ قلت إن معي ابناً لي أو ابن أخت لي ـ مجنون، أتيتك به تدعو الله له، قال: **«ائتني به»**، قال: فانطلقت به إليه وهو في الركاب، فأطلقت عنه. وألقيت عنه ثياب السفر، وألبسته ثوبين حسنين، وأخذت بيده حتى انتهت به إلى النبي ﷺ، فقال: **«أدنه مني، اجعل ظهره مما يليني»** قال بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله، فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض إبطيه، ويقول: **«أخرج عدو الله، أخرج عدو الله»**، فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الأول. ثم أقعده رسول الله بين يديه، فدعا له بماء فمسح وجهه ودعا له، فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ﷺ يفضل عليه.

وفي المسند أيضاً عن يعلى بن مرة قال: رأيت من رسول الله ﷺ

ثلاثاً ما رآها أحد قبلي، ولا يراها أحد بعدي، لقد خرجت معه في سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها، فقالت: يا رسول الله، هذا الصبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء، يؤخذ في اليوم لا أدري كم مرة، قال: «**ناولينيه**»، فرفعته إليه، فجعله بينه وبين واسطة الرحل، ثم فغر (فاه)، فنفث فيه ثلاثاً، وقال: «**بسم الله، أنا عبد الله، اخسأ عدو الله**»، ثم ناولها إياه فقال: «**القينا في الرجعة في هذا المكان، فأخبرينا ما فعل**»، قال: فذهبنا ورجعنا فوجدناها في ذلك المكان معها ثلاث شياه، فقال: «**ما فعل صبيك؟**» فقالت: والذي بعثك بالحق ما حسسنا منه شيئاً حتى الساعة، فاجترر هذه الغنم، قال: «**انزل خذ منها واحدة ورد البقية**».

فقد أخرج الرسول ﷺ الجني بالأمر والنهر واللعن، ولكن هذه لا تكفي وحدها، فإن لقوة الإيمان وثبات اليقين وحسن الصلة بالله أثر كبير في هذا، يدلك على ذلك الواقعة التالية:

الإمام أحمد يأمر الجني بالخروج فيستجيب:

روي أن الإمام أحمد كان جالساً في مسجده، إذ جاءه صاحب له من قبل الخليفة المتوكل، فقال: إن في بيت أمير المؤمنين جارية بها صرع، وقد أرسلني إليك، لتدعو الله لها بالعافية:

فأعطاه الإمام أحمد نعلين من الخشب، وقال:

اذهب إلى دار أمير المؤمنين، واجلس عند رأس الجارية، وقد للجني: قال لك أحمد: أيما أحب إليك: تخرج من هذه الجارية، أو تصفع بهذا النعل سبعين؟

فذهب الرجل ومعه النعل إلى الجارية، وجلس عند رأسها، وقال كما قال له الإمام أحمد.

فقال المارد على لسانه الجارية: السمع والطاعة لأحمد، لو أمرنا أن نخرج من العراق لخرجنا منه، إنه أطاع الله، ومن أطاع الله أطاعه كل شيء.

ثمَّ خرج من الجارية، فهدأت، ورزقت أولاداً.

فلما مات الإمام، عاد لها المارد، فاستدعى لها الأمير صاحباً من أصحاب أحمد، فحضر، ومعه ذلك النعل، وقال للمارد: اخرج وإلا ضربتك بهذه النعل.

فقال المارد: لا أطيعك ولا أخرج، أما أحمد بن حنبل، فقد أطاع الله فأمرنا بطاعته.

ما ينبغي أن يكون عليه المعالج:

وينبغي للمعالج أن يكون قوي الإيمان بالله معتمداً عليه، واثقاً بتأثير الذكر وقراءة القرآن، وكلما قوي إيمانه وتوكله قوي تأثيره، فربما كان أقوى من الجني فأخرجه، وربما كان الجني أقوى فلا يخرج، وربما كان المخرج للجني ضعيفاً فتتقصد الجن إيذاءه، فعليه بكثرة الدعاء والاستعانة عليهم بالله، وقراءة القرآن خاصة آية الكرسي.

استرضاء الجن:

وبعض الناس يحاولون استرضاء الجني الذي يصرع الإنسان بالذبح له، وهذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، وروي أنه نهى عن ذبائح الجن.

حقيقة الصراع:

يقول ابن القين ما ملخصه (الوابل الصيب /٢١): «اختار الله الإنسان من بين خلقه فكرمه واصطفاه وجعله محلاً للإيمان والتوحيد والإخلاص والمحبة والرجاء، وابتلاه الشهوة والغضب والغفلة، وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتر عنه».

ثم يقول ابن القيم ما نصه: (فهو أي الشيطان) يدخل عليه من الأبواب التي هي من نفسه وطبعه، فتميل نفس معه، لأنه يدخل عليها بما

تحب، فينتفق هو ونفسه وهواه على العبد: ثلاثة مسلطون آمرون، فيبعثون الجوارح في قضاء وطرهم، والجوارح آلة منقادة، فلا يمكنها إلا الانبعاث، فهذا شأن هذه الثلاثة، وشأن الجوارح، فلا تزال الجوارح في طاعتهم كيف أمروا وأين يموا. هذا مقتضى حال العبد، فاقتضت رحمة ربه العزيز الرحيم به أن أعانه بجند آخر، وأمده بمدد آخر يقاوم به هذا الجند الذي يريد هلاكه، فأرسل إليه رسوله، وأنزل عليه كتابه، وأيده بملك كريم يقابل عدوان الشيطان، فذا أمره الشيطان بأمر، أمره الملك بأمر ربه، وبين له ما في طاعة العدو من الهلاك، فهذا يلم به موة، وهذه مرة، والمنصور من نصره الله عز وجل، والمحفوظ من حفظه الله تعالى. وجعل له مقابل نفسه الأمارة نفساً مطمئنة، إذا أمرته النفس الأمارة بالسوء، نهته عنه النفس المطمئنة، وإذا نهته الأمارة عن الخير، أمرته به النفس المطمئنة، فهو يطيع هذه مرة، وهذه مرة، وهو الغالب عليه منهما، وربما انقهرت أحداهما بالكلية قهراً لا تقوم معه أبداً.

الحكمة من خلق الشيطان:

الشيطان منبع الشرور والآلام، فهو القائد إلى الهلاك الدنيوي والأخروي، ورافع الراية في كل وقت ومكان، يدعو الناس إلى الكفران، ومعصية الرحمٰن. فهل في خلقه من حكمة؟ وما هذه الحكمة؟

أجاب عن هذا السؤال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (شفاء العليل ص٣٢٢) فقال: (في خلق إبليس وجنوده من الحكم ما لا يحيط بتفصيله إلا الله).

١ ـ ما يترتب على مجاهدة الشيطان وأعوانه من إكمال مراتب العبودية:

فمنها أن يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه ومخالفته ومراغمته فيا لله، وإغاظته وإغاظة أوليائه، والاستعاذة به منه، واللجوء إليه أن يعيذهم من شره وكيده، فيترتب على ذلك من

المصالح الدنيوية والأخروية ما لم يحصل بدونه... والموقوف على الشيء لا يحصل بدونه.

٢ ـ خوف العباد من الذنوب.

٣ ـ جعله الله عبرة لمن اعتبر.

٤ ـ جعله فتنة واختباراً لعباده.

٥ ـ إظهار كمال قدرته سبحانه بخلق الأضداد.

٦ ـ الضد يظهر حسنه الضد.

٧ ـ والابتلاء به سبيل إلى تحقيق الشكر.

٨ ـ ورتب على ذلك ظهور آياته وعجائب قدرته.

٩ ـ الخلق من النار آية.

١٠ ـ ظهور متعلقات أسمائه.

١١ ـ ظهور آثار تمام ملكه وعموم تصرفاته.

١٢ ـ وجود إبليس من تمام حكمته تعالى.

١٣ ـ حمده تعالى على منعه وخفضه.

١٤ ـ وبخلقه يظهر الله لعباده حلمه وصبره.

إلى أي مدى نجح الشيطان في إهلاك بني آدم؟

إن المسرح نظره في تاريخ البشرية يهوله ما يرى من ضلال الناس وكيف كذبوا الرسل والكتب وكفروا بالله ربهم وأشركوا به مخلوقاته كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف: ١٠٣] ولذا حق عليهم غضب الله وانتقامه ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضًا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ فَبُعۡدًا لِّقَوۡمٍ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٤٤﴾ [المؤمنون: ٤٤].

وفي الحاضر حيثما نظرنا أبصرنا أولياء الشيطان تعج بهم الحياة،

obeikandl.com

يرفعون رايته وينادون بمبادئه، ويعذبون أولياء الله، ويدلنا على مدى تحقيق الشيطان لمراده أن الله يأمر آدم يوم القيامة أن يخرج من ذريته بعث النار، فلما يستفسر عن مقدار هذا البعث يقول له: تسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنَّة، وفي رواية تسعمائة وتسعة وتسعون في النار وواحد في الجنَّة.

وبذلك يصدق ظنه في هذه الذرية التي لم تعتبر بما جرى لأبيها، ولا بما جرى لأسلافها، ويبقى هذا اللعين يقودها إلى هلاكها، بل أحياناً تسابقه إلى الجحيم.

وما أقبح أن يصدق ظن العدو في عدوه ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ: ٢٠] قبيح بالإنسان أن يتحقق فيه ظن الشيطان فيطيع هذا العدو ويعصي ربَّه الرحيم، ولقد بلغ الأمر حداً لا يوصف ولا يتصور، فهذه طائفة في العراق وفي جهات أخرى تطلق على نفسها: عباد الشيطان، وبعض الكتاب نراهم يحلفون (بحق الشيطان) فما أعجب أمرهم!